منهج محمد الغزالي السقا في تفسيره "نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم"

إعداد

د. فاطمة محمد منصور صقر

مدرس الدراسات الإسلامية- معهد الدراسات الأفروآسيوية للدراسات العليا-

جامعة قناة السويس

مجلة الدراسات التربوية والانسانية ـ
كلية التربية ـ جامعة دمنهور ـ
المجلد الخامس عشر - العدد الرابع -
الجزء الرابع (أ) - لسنة 2023

منهج محمد الغزالي السقا في تفسيره
"نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم"

د. فاطمة محمد منصور صقر

ملخص البحث:-

كان لأسلوب الشيخ الغزالي تأثيرٌ كبيرٌ في انتشار كتبه بصفة عامة –وكتاب "نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم" بصفة خاصة– بين جميع القراء؛ وذلك لأسلوبه السهل البسيط والميسر في تفسير الآيات ، بالإضافة لما يحمله من فكر تجديدي مستنير.

وقد حدد الشيخ محمد الغزالي هدفه من كتابه في تحليل الوحدة الموضوعية للسورة في القرآن الكريم متأسيًا بمنهج الشيخ محمد عبد الله دراز في كتابه القيِّم (النبأ العظيم).

الأمر الذي دفعني لاختيار هذا الموضوع والبحث فيه للتعرف على منهج الشيخ محمد الغزالي في تفسيره للوحدة الموضوعية في سور القرآن الكريم مستفيدًا من المنهج الذي عرضه الدكتور محمد عبد الله دراز.

والبحث يشتمل على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وثبت بالمصادر والمراجع:

اشتملت المقدمة على أسباب اختيار البحث، وأهداف البحث، والمنهج المتبع فيه، والدراسات السابقة عليه، وخطة البحث. أما التمهيد تناولت فيه التعريف بالشيخ محمد الغزالي، وبالوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، وتأثره بمعاصريه أمثال: محمد عبد الله دراز، وغيره. وعرفت السياق بنوعيه: السياق الداخلي، والسياق الخارجي. ولقد وظف الغزالي النوعين في أكثر من موضع من تفسيره .

وجاء المبحث الأول بعنوان: تطور الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية عند الشيخ محمد الغزالي، وتحدثت فيه عن تطور الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية عند الشيخ محمد الغزالي وبينت أن التفسير الموضوعي مر بخمس مراحل لدى الشيخ الغزالي.

المبحث الثاني: غرض تأليف الشيخ الغزالي تفسيره "نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم"، وتحدثت فيه عن الغرض من تأليف الشيخ الغزالي تفسيره، ومن أهمها نقد واقع الأمة وتشخيص أمراضها المتوطنة والمتغيرة لتقديم حلول لها.

وأما المبحث الثالث: ففيه تحدثت عن ملامح منهج الشيخ الغزالي للتفسير الموضوعي للسورة، وعن الوحدة الموضوعية من خلال محور السورة ، وبينت أنه اختار من الآيات ما يبرز ملامح خيوط السورة ، ثم بينت اهتمامه بالخصائص المميزة لكل سورة، وبينت أنه لم يعول على موضوع السورة من خلال اسمها، وبينت أنه وظف موضوع كل سورة لخدمة قضايا الأمة، ووظَّف أسباب النزول في فهم مقاصد السورة.

ثم توصلت الباحثة إلى عدة نتائج أهمها: أن أنواع التفاسير حلقات متكاملة لا ينفصم بعضها عن بعض، وأن السورة القرآنية وحدة واحدة، وبناء متراكب متناسق، وأنه استخدم سياقين لتحليل موضوعات السورة وربطها في وحدة واحدة؛ وهما السياق الداخلي والسياق الخارجي .

الكلمات المفتاحية :

منهج– التفسير الموضوعي– السياق– الوحدة الموضوعية–الغزالي

"Mohammed Al-Ghazali Al-Saqqa's Approach in his Commentary: Towards an Objective Interpretation of the Chapters of the Holy Quran"

Prepared by:
Dr. Fatma Mohamed Mansour Saqr
Lecturer in Islamic Studies
Suez Canal University

Summary of the research

The style of Sheikh Al-Ghazali had a significant impact on the widespread dissemination of his books in general, and particularly his book "Towards an Objective Interpretation of the Chapters of the Holy Quran," among all readers. This is attributed to his simple and accessible approach in interpreting the Quranic verses, as well as the enlightening and innovative ideas he presented.

In his book, Sheikh Mohammed Al-Ghazali set his goal to analyze the thematic unity of the chapters (Surahs) in the Holy Quran, drawing inspiration from the approach of Sheikh Mohammed Abdullah Daraz in his valuable book "Al-Naba' Al-Azim." The above-mentioned factors led me to choose this topic for research, aiming to explore Sheikh Mohammed Al-Ghazali's approach in interpreting the thematic unity of the chapters in the Holy Quran, while benefiting from the methodology presented by Dr. Mohammed Abdullah Daraz. The research includes an introduction, a preface, three chapters, a conclusion, and is supported by sources and references.

The introduction covered the reasons for choosing the research topic, its objectives, the methodology adopted, previous studies on the subject, and the research plan. The preface provided an introduction to Sheikh Mohammed Al-Ghazali, the thematic unity of the Quranic chapters, and his influence from contemporaries like Mohammed Abdullah Daraz and others. It also defined the two types of context: internal context and external context. Al-Ghazali employed both types in various parts of his commentary.

The first chapter was titled "The Evolution of Thematic Unity in the Quranic Chapters by Sheikh Mohammed Al-Ghazali." In this chapter, the development of thematic unity in the Quranic chapters by Sheikh Mohammed Al-Ghazali was discussed, indicating that his thematic interpretation went through five stages. Second Chapter: The Purpose of Sheikh Al-Ghazali in Authoring his Commentary "Towards an Objective Interpretation of the Chapters of the Holy Quran." In this chapter, I discussed the purpose behind Sheikh Al-Ghazali's authorship of his commentary, emphasizing that one of the main purposes was to critique the reality of the Muslim community and diagnose its inherent and evolving issues, aiming to provide solutions for them.

As for the third chapter: it covered the features of Sheikh Al-Ghazali's methodology in the thematic interpretation of the chapters. It delved into the thematic

unity through the central axis of each chapter, highlighting that he carefully selected Quranic verses that bring out the main themes of the chapters. Furthermore, I explained his attention to the distinctive characteristics of each chapter, clarifying that he did not solely rely on the name of the chapter to determine its theme. Instead, he employed the subject matter of each chapter to serve the causes of the Muslim community, utilizing the reasons for revelation to understand the objectives of the chapters.

Then, the researcher arrived at several conclusions, the most important of which are: the different types of interpretations are interconnected and not disconnected from each other, and that the Quranic chapter is a single cohesive and harmonious unit. It is constructed in a layered and coherent manner. The researcher also found that Sheikh Al-Ghazali used two contexts to analyze the themes of the chapters and connect them in one unity: the internal context and the external context.

Keywords: Al-Ghazali - Context -Thematic Interpretation - Thematic Unity – Approach.

المقدمة :

تُمثل كتب محمد الغزالي بناءً متكاملًا للتزكية التي يحتاجها المسلم المعاصر لنفسه، كما أن كتاباته تتناول الجانب الروحي والفكري، اللذين يجب ألا تخلو منهما حياة المسلم حتى يستقيم المجتمع.

وقد اكتسب الغزالي ثقافته من طبيعة تكوينه الأزهري، ومن قراءاته المستمرة في مختلف المعارف، لِما ينتجه الفكر الإنساني من معلومات وأفكار، وهذه الثقافة الواسعة والعميقة والمتنوعة، وظَّفها الغزالي كثيرًا في تفسيره، واتَّخذ منها وسيلة إلى الإبانة عن المراد الإلهي في كتابه الكريم.

وكان لأسلوب الشيخ الغزالي تأثيرٌ كبيرٌ في انتشار كتبه بصفة عامة –وكتاب "نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم" بصفة خاصة– بين جميع القراء؛ وذلك لأسلوبه السهل البسيط والميسر في تفسير الآيات ، بالإضافة لما يحمله من فكر تجديدي مستنير. وامتزاج أسلوب هذا الكتاب بين رقة الأسلوب والسهولة ، أضفى على النص حسًّا دقيقًا يجعل القارئ يتفاعل مع الكتاب.

وقد حدد الشيخ محمد الغزالي هدفه من كتابه في تحليل الوحدة الموضوعية للسورة في القرآن الكريم متأسيًا بمنهج الشيخ محمد عبد الله دراز في كتابه القيِّم (النبأ العظيم)؛ قائلا : "لقد عنيت عناية شديدة بوحدة الموضوع في السورة، وإن كثرت قضاياها، وقد تأسيت في ذلك بالشيخ محمد عبد الله دراز عندما تناول سورة البقرة –وهي أطول سورة في القرآن الكريم –فجعل منها باقة واحدة ملونة نضيدة، يعرف ذلك من قرأ كتاب"النبأ العظيم"وهو أول تفسير موضوعي لسورة كاملة، فيما أعلم ... "[1]

وقد دفعتني هذه الإشارة إلى ضرورة التعرف على منهج الشيخ محمد الغزالي في تفسيره للوحدة الموضوعية في سور القرآن الكريم مستفيدًا من المنهج الذي عرضه الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه القيِّم (النبأ العظيم)، فجاء هذا البحث بعنوان :

---

1) محمد الغزالي: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، ط1، دار الشروق، القاهرة، 2000م، ص5.

"منهج محمد الغزالي السقا في تفسيره "نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم"

أسباب اختياري لموضوع البحث:

-الرغبة في الكشف عن منهج علم من أعلام العصر الحديث في تفسير كتاب الله تعالى.

-الرغبة في الكشف عن كيفية معالجة الغزالي لقضايا الأمة من خلال التفسير الموضوعي للسورة بيان مدى اهتمام الغزالي بقضايا الأمة، وبالتالي بيان قدرته على تشخيص وعلاج تلك القضايا، وذلك من خلال التفسير الموضوعي للسورة .

أهداف البحث:

1- الكشف عن كيفية غوص الغزالي في أعماق الآية القرآنية لإدراك رباطها بما قبلها وما بعدها، والكشف عن تماسك السورة والوحدة الموضوعية فيها، ضمن السياقين السياق اللغوي الداخلي للآيات القرآنية، والسياق المحيط بالنص القرآني، وهو ما يعرف بأسباب النزول ، وما يعرف -حديثًا- بالسياق الثقافي وهو سياق خارجي .

2- تجلية موقف الغزالي من قضايا معاصرة للأمة الإسلامية من خلال تفسيره، فقد رأى حاجة الأمة إلى هذا اللون من التفسير.

منهج البحث :

اعتمدْتُ على المنهج الوصفي التحليلي، لاستخراج منهج الغزالي متَّبِعةً عزو المنقولات إلى أصحابها وتوثيقها .

الدراسات السابقة:

دارت عدة دراسات حول كتاب: "نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم"، منها :

1-الشيخ محمد الغزالي رائد التفسير الموضوعي في العصر الحديث، مسعود فلوسي، أستاذ مساعد، المعهد الوطني بالجزائر. (المنصورة، دار الوفاء 2000م)، وتوصل الباحث إلى اهتمام الغزالي بالوحدة الموضوعية للموضوعات التي تناولها في القرآن الكريم، لحل مشكلات عصرية للأمة، وذلك من خلال الوسائل التي استخدمها لتفسير القرآن الكريم.

أما دراستي فستتناول منهج محمد الغزالي في تفسير الوحدة الموضوعية لكل سورة من سور القرآن الكريم من خلال كتابه "نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم" .

2–منهج التفسير الموضوعي عند محمد الغزالي بين النظرية والتطبيق، للباحثة نشوان عبده خالد، وتهدف هذه الدراسة إلى استكشاف وتقييم منهج محمد الغزالي في كتابه المحاور الخمسة للقرآن الكريم، وتوصلت فيها الباحثة إلى أن اهتمام محمد الغزالي بالتفسير يأتي في سياق جهوده الإصلاحية، ومن الخصائص الإجمالية لتفسيره الوحدة الموضوعية في القرآن، ربط القرآن بالواقع، الإيجاز، والتعامل مع القرآن كتاب هداية، ومن الخصائص الجزئية في تفسيره ربط القرآن بالحقائق العلمية، توظيف ملابسات النزول والتاريخ، تقديم ظاهر القرآن على الخبر الواحد، وتوسيع دائرة الشهادة وتضييق دائرة الغيب.

أما دراستي فستتناول منهج محمد الغزالي في تفسير الوحدة الموضوعية من خلال السورة من خلال كتابه "نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم" .

وهذه الدراسات مهمة في موضوعها، لكن لم تتطرق هذه الدراسات لمنهج محمد الغزالي في تفسير الوحدة الموضوعية من خلال السورة من خلال كتابه "نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم"، وهذا موضوع بحثي .

خطة البحث:

يشتمل البحث على تمهيد وثلاثة مباحث، كالآتي:

التمهيد: التعريف بالشيخ محمد الغزالي، وبالوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، وبالسياق .

المبحث الأول: تطور الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية عند الشيخ محمد الغزالي .

المبحث الثاني: غرض تأليف الشيخ الغزالي تفسيره "نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم"

المبحث الثالث: منهج الشيخ الغزالي في تفسيره "نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم".

التمهيد:

التعريف بالشيخ محمد الغزالي، وبالوحدة الموضوعية للسورة القرآنية وتأثره بمعاصريه، وبالسياق العام للسورة القرآنية .

أولًا: التعريف بالشيخ محمد الغزالي :-

وُلد محمد الغزالي أحمد موسى السقا في قرية نكلا العنب التابعة لمركز إيتاي البارود محافظة البحيرة، 22/ 9 / 1917م ، ثم حصل على الشهادة العالمية عام 1943م، بجامعة الأزهر ، ثم شغل العديد من الوظائف بالأزهر الشريف ووزارة الأوقاف، ثم عمل أستاذًا في جامعة أم القرى بالسعودية 1971م. ثم أُعيرَ للجزائر فتولى رئاسة المجلس العلمي بجامعة الأمير عبد القادر الجزائري الإسلامية، لمدة خمسة أعوام بدايتها من 1984م، توفي بالسعودية في يوم السبت الموافق 9 / 3 / 1996م، أثناء مشاركته في مؤتمر الإسلام وتحديات العصر المقام في مهرجان الجنادرية بالمملكة العربية السعودية، ودفن في البقيع بالمدينة المنورة، حيث كان قد أوصى بأن يدفن بجوار النبى ﷺ.[2]

ثانيًا: التعريف بالوحدة الموضوعية، وتأثره بمعاصريه:-

لعل بيان الفرق بين تعريف الوحدة الموضوعية للقرآن والوحدة الموضوعية للسورة ، يجعلنا نقف على عمل الغزالي في تفسيره، فالوحدة الموضوعية في القرآن الكريم هو"الإحكام والتناسب والتناغم والتكامل في القرآن الكريم" على مستوى القرآن الكريم ككل، والوحدة الموضوعية للسورة هو "الأمر الذي يجمع موضوعات السورة وجزئياتها في نسق واحد" [3] على مستوى السورة الواحدة. وهذا ما قصده محمد الغزالي في كتابه (نحو تفسير موضوعي للقرآن الكريم) ، والذي كان صدى لتأثره بما فعله الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه القيّم:(النبأ العظيم) خاصة في تفسيره للترابط في سورة البقرة ..

2- انظر: عفاف عبد الغفور: التفسير الموضوعي لدى الغزالي، بحث نشر بمؤتمر التفسير الموضوعي للقرآن الكريم واقع وآفاق، المنعقد بجامعة الشارقة 25-26- /3 /2010. ص7.

3 -عبد الله شحاتة: أهداف السورة ومقاصدها في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1976م، ص1.

فالتفسير المتعلق بالوحدة الموضوعية على مستوى القرآن الكريم ظهر في أول مؤلفاته تحت عناوين متعددة مثل:" القرآن والطبقات المترفة"، "بنو إسرائيل في القرآن الكريم"، وهذا النوع أكثر وضوحًا في كتابه" المحاور الخمسة في القرآن"، وفي غيره من مؤلفاته ، وقد أشار رحمه الله إلى ذلك بنفس المعنى في مقدمة تفسيره . (4)

ثم ظهر التفسير المتعلق بالوحدة الموضوعية لسور القرآن الكريم، من خلال كتابه "نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم"، متأثرًا بالشيخ رشيد رضا، والشيخ محمود شلتوت، والشيخ محمد المدني، وبالدكتور محمد عبد الله دراز، والذي تأثر به أكثر من علماء معاصريه.

والتفسير الموضوعيّ للسُّوَر القرآنيّة لدى هؤلاء العلماء يكون بإفراد سورة قرآنيّة بدراسة خاصّة؛ فيتعمّق بالنَّظَر فيها مُبيّنًا الوحدة الموضوعيّة لها، ومُستنبِطًا أهدافها، ومَقاصدها، ثمّ يعرضها كوحدة موضوعيّة متكاملة بعد التحليل المَوضوعيّ لها (5).

وعلى هذا المنهج سار الشيخ الغزالي، فقال: النظر إلى السورة الواحدة من القرآن نظرة موضوعية على أنها تدور حول محور ارتكاز، وكأن ما يقال في السورة مرتبطًا بهذا المحور ارتباط محيط الدائرة بنقط الارتكاز،..... فسورة البقرة سورة لها أساس تمشي عليه، وأهداف تبدأ وتنتهي إليها .... ففى السورة نلمح خيوطًا خفية أشبه بالأعصاب في الكيان الحي (6).

وتأثر بالغزالي من بعده، ناصر العمر في كتاب: "سورة الحجرات: دراسة تحليلية موضوعية"، والشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني (1927م – 2004م) في كتاب: "تدبُّر سورة الفرقان"

ثالثا: التعريف بالسياق: السياق نوعان: سياق داخلي وسياق خارجي؛ فالسياق الداخلي هو (سياق لغوي يتعلق بتراكيب اللغة وألفاظها، وجمال النص من هذه الناحية يتعلق بطبيعة النسق اللغوي وكيفية تشكله داخل النص وما يضيفه من دلالات فنية عليه ...) (7)

(4) انظر: محمد الغزالي: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، ص6.
(5) انظر: محمد نبيل غنايم، بحوث ونماذج من التفسير الموضوعي، دار الهداية للطباعة والنشر، 2008م، ص17، 39.
(6) انظر: محمد الغزالي: ندوات الشيخ محمد الغزالي في مجلة لواء الإسلام، جمعها ورتبها وعلق عليها وقدم لها: مجد أحمد مكي، ط1، دار القلم، دمشق، سوريا، 2021 م، ص 239-242.
7) المهدي إبراهيم الغويل: السياق وأثره في المعنى، أكاديمية الفكر الجماهيري، بنغازي- ليبيا، 2011م، ص7.

وقد تنبه الغزالي للسياق الداخلى في تفسيره للوحدة الموضوعية وأطلق عليه التفسير الموضعي؛ حيث قال: (والتفسير الموضوعي غير التفسير الموضعي : الأخير يتناول الآية أو الطائفة من الآيات فيشرح الألفاظ والتراكيب والأحكام) [8]

وأما السياق الخارجي الذي يعني مقاصد السورة وقضاياها التي تتوحد من خلال بنية محكمة محبوكة ...ويتمثل في الظواهر والملابسات شبه اللغوية.[9] ولقد وظف الغزالي النوعين في أكثر من موضع من خلال تفسيره .

المبحث الأول

تطور الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية عند الشيخ محمد الغزالي

مرَّت فكرة الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية لدى الشيخ محمد الغزالي بعدة مراحل، وهي كالآتي:

المرحلة الأولى: في البدء كان يستشهد في مؤلفاته بنصوص القرآن الكريم، كما في مجلة لواء الإسلام التي شارك فيها بندواته لمدة ثلاثة عشر عامًا في سبعينات القرن الماضي، والتي نشرت ندوات للشيخ تحدث فيها عن قضايا متناثرة في التفسير الموضوعي .

المرحلة الثانية: في كتابه الإسلام والأوضاع الاقتصادية ظهرت بواكير التفسير الموضوعي عند الغزالي فيما كتبه من خلال مبحث "القرآن والطبقات المترفة" فلخص موقف القرآن الكريم من هذه الطبقة المترفة من خلال تفسيره الآيات التي تناولت المترفين في المجتمع وخطورتهم، فقال: إن المترفين أعداء كل إصلاح، وأن الطبقات المترفة مصدر فساد عريض، وأنهم أعداء الشعوب. [10]

وظهر كذلك بواكير التفسير الموضوعي في كتابه:"الإسلام والاستبداد السياسي"، وفيه استخلص من القرآن الكريم الصفات التي تصحب الاستبداد والتي يقوم عليها، وفي مقدمتها كبرياء الحاكم وتعاليه، وذلك من خلال قصة فرعون واستعلائه على قومه واستعبادهم.[11]

---

8) محمد الغزالي: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، ص5.
9) المهدي إبراهيم الغويل: السياق وأثره في المعنى، مرجع سابق، ص7.
(10) انظر: محمد الغزالي: الإسلام والأوضاع الاقتصادية، ط1، دار نهضة مصر، 2005م، ص48-55.
(11) انظر: محمد الغزالي: الإسلام والاستبداد السياسي، ط1، دار نهضة مصر، د.ت، ص26-43.

المرحلة الثالثة: في فترة الستينيات أصدر كتابه الشهير "نظرات في القرآن" تضمن الاتجاه الموضوعي في التفسير للقرآن، مثل "الإنسان في القرآن، والألوهية في القرآن، وفساد الأمم كما يصوره القرآن، فكتابه كله على شاكلة هذه الموضوعات، ثم صرح في خاتمة هذا الكتاب بأنه يعتبره مقدمة لتفسير كامل للقرآن الكريم، فقال : لما كتبت هذه النظرات رجوت أن تكون مقدمة بين يدي تفسير حسن للقرآن الكريم، تفسير يلائم طريقة عصرنا في الفهم والاستنباط ويترجم عن روح القرآن نفسه"[12].

وفي تلك الفترة ظهر كتابه "ليس من الإسلام"، وكتابه "كيف نفهم الإسلام" وكتابه" الطاقات المعطلة". وهذه المؤلفات اشتملت على موضوعات في التفسير الموضوعي للقرآن مثل: "أمة ورسالة " و"السنن العامة في دعوة الرسل والأنبياء".

المرحلة الرابعة: في مطلع السبعينيات اتجه إلى التفسير الموضوعي بصورة عملية وصار يوظف مصطلح التفسير الموضوعي توظيفًا واقعيًّا وعمليًّا، فقد أعلن في خطبة الجمعة 30 نوفمبر 1973م على المصلين أنه سيتناول سور القرآن الكريم بالتفسير الموضوعي، فترجم هذا التصريح في بداية الثمانينيات في كتابه المحاور الخمسة للقرآن الكريم ، كما ألقى دروسًا مسائية في التفسير لكل سور القرآن على شاشة تلفزيون الجزائر، ثم ظهر له كتاب "كيف نتعامل مع القرآن" في بداية التسعينيات وطرح فيه منهج التفسير الموضوعي، وفيه انتقد علاقة المسلمين بالقرآن بسبب النظرة الجزئية لسور القرآن وآياته، وفيه انتقد مدارس التفسير الفقهية والكلامية والبيانية وغيرها، ويرى أن لكل منها خير وعليها مأخذ. [13]

المرحلة الخامسة: توجت المراحل السابقة بالمرحلة الأخيرة التي بلغت غاية النضج في التفسير الموضوعي من خلال كتابه" نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم"، فصدر هذا التفسير في مجلد واحد 1966 م.

المبحث الثاني

غرض تأليف الشيخ الغزالي تفسيره "نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم"

(12) انظر: محمد الغزالي: نظرات في القرآن الكريم، ط1، دار نهضة مصر، د.ت، ص230.
(13) انظر: محمد الغزالي: تراثنا الفكري في ميزان العقل والشرع، ط1، دار نهضة مصر، ص128.

للمؤلفين في تأليف كتبهم أهداف وأغراض، وخاصة عندما يكون العالم غيورًا على أمته لتنهض وتستيقظ من سباتها، وهنا أبرز أهم الأهداف والأغراض لتأليف الشيخ الغزالي تفسيره "نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم"

ولا أدَّعي إنْ قلت: إنَّ الغزالي استطاع أنْ يقدم ويختصر مشروعه الفكري على مدى سبعين سنة تقريبًا من خلال أواخر كتبه "نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم"، ومن ثَمَّ يمكن القول بأننا نستطيع حصر أهم أغراضه للوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، وهي كالآتي:

1-المفسر يفسر القرآن الكريم للمجتمع حسب تغلب بعض العلوم على عقول الناس في زمانهم، وعلى حسب حاجتهم ومشاكلهم العصرية.

وهذا ما صرح به الغزالي فقال: المفسر يتأثر بطابع عصره فعندما اشتغل الناس بالبلاغة وكتب التفسير البلاغي كان"تفسير الكشاف"، وعندما اشتغل الناس بالفقه وكتب التفسير الفقهي كان "تفسير القرطبي"، وعندما اشتغل الناس بالمأثور وكتب التفسير بالمأثور كان "تفسير الطبري"، وفي عصرنا تتعرض الأمة لقضية مُلِحَّةٍ وهي قضية المال أو قضية الطبقات، فلابد من أن تلقى عليه أضواء شديدة حتى تبرز خوافيه...وبالتالي فالتفسير الموضوعي جزء من تبليغ الدعوة، يعتبر التقصير فيه تقصيرًا في الدعوة الإسلامية، وفي رسالة الإسلام [14].

2-أوضح الغزالي أن اهتمامه بتفسير كتاب الله تعالى هو الكشف عن رد اعتبار الأنبياء وحمايتهم، لكي تتم وتكتمل الدعوة الصحيحة، يقول الغزالي: الدفاع عن النبوة والأنبياء ورد الاعتبار لهم من خلال التفسير الموضوعي عن النبوة. [15]

3-عاش الغزالي في عصر ظهرت فيه ترجمة القرآن الكريم منقوصة المعنى والمضمون، فكان هذا العصر في أمَسِّ الحاجة للترجمة الصحيحة للقرآن الكريم ولا تصح الترجمة إلا بالتفسير الموضوعي، يقول الغزالي: التفسير الموضوعي هو الذي يصلح ليكون مادة الترجمة في أنحاء العالم؛ لأن ترجمة معاني القرآن على النسق الموجود، بترجمة معانيه بلغة كذا أو لغة كذا، لا يخدم الدعوة الإسلامية، ولكن الذي يخدمها خدمة أجل في

(14)انظر: محمد الغزالي: ندوات الشيخ محمد الغزالي في مجلة لواء الإسلام، ص235، 238.
(15)انظر: السابق ص238.

عصرنا هو ترجمة التفسير الموضوعي؛ لكونه يضم خيوط الموضوع من شتى السور.[16]

4–استطاع الغزالي من خلال تفسيره نقد واقع الأمة وتشخيص أمراضها المتوطنة والمتغيرة لعودتها لدينها، ولإيقاظها وشحذ همتها، فوجه قلمه إلى محاولة تشخيص أمراض المجتمع المستعصية وحاول إيجاد ما يناسب هذه الأمراض من أدوية ناجحة، وظهر ذلك جليًّا في مؤلفاته، وخاصة في كتابه "نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم".

ولقد استخدم الغزالي التفسير الموضوعي للسورة للكشف عن وضع الأمة بين الأمم، يقول في تفسيره لسورة الكافرون:"إننا نحن المسلمين لا نسعى إلى محو الأديان المخالفة، وقد أجمع المحققون على أن الإسلام ما يقاتل إلا منعًا للفتنة وردًّا للعدوان، وكل قتال للإكراه على عقيدة، فهو من نزغ الشياطين وجبروت السلاطين، ولا نتيجة له إلا مزيد من الأحقاد. ولذلك تكرر في هذه السورة بعد ذلك ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦ ﴾(الكافرون: 4–6) إن هذه السورة من أحسن ما تؤسس عليه العلاقات الدولية، فلنعترف بتعدد الأديان، ولندع للجدال الحسن والحوار الهادئ". [17]

وكما في تفسيره لسورة الليل بعد ما تناول أول السورة وحتى قوله ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ ﴾، قال: "ولقد ظهرت أجيال في الأمة الإسلامية جحدت طاقتها، ولاذت بالقعود والكسل، ففقدت حاضرها ومستقبلها جميعًا؛ لأنها استحمقت في فهم القضاء والقدر، واعتنقت خرافة الجبر، واعتمدت على الثرثرة في تسويغ فشلها وعجزها".[18]

5–استطاع الغزالي من خلال تفسيره أن جعل كتب التفسير مع اختلاف أنواعها كالعقد المتماسك، وذلك لكون التفاسير تتكامل لا تتعارض.

---

(16)انظر: السابق ص239.
(17) محمد الغزالي: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، سورة الكافرون، ص 545.
(18السابق:)سورة الليل، ص 523.

فالتفسير الموضوعي في نظر الشيخ الغزالي لا يغني عن التفسير الموضعي، ولابد منه قبل الشروع في التفسير الموضوعي لتوضيح الرؤية وتحديد المعنى [19].

ومع اعتقاد الغزالي بأن كتب التفسير تتكامل لا تتعارض، فإنه لم يتحرج في نقد بعض كتب التفسير من آراء أضرت بالفكر الإسلامي ، ففي تفسيره لسورة التوبة ، أنكر على من يدعي أن الإسلام يبدأ الناس بالهجوم دون دعوة أو إعلان ، وذلك فيه إكراه للناس مخالف لصريح الآيات ويرى أنه تعسف بفصل أول الآية عن آخرها مستدلًا ب : ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ﴾(التوبة: 36) وناسيًا بقيتها ﴿كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗ﴾ [20].

6- كشف في تفسيره حاجة الأمة للعدالة الاجتماعية، والتي تدعو إلى ضرورة أن يكون لكل فرد داخل المجتمع ما يكفل له ولأسرته حياة كريمة.

7-كشف في تفسيره محاربة الاستبداد الفكري؛ فقد كانت له صولات وجولات، وخصوصًا ما كان باسم الدين، والذي يرى أنه أخطر من غيره من الموضوعات. وقد مثل موضوع الاستبداد الفكري دعامة أساسية في فكره الإصلاحي وفي تفسيره .

8-انتصر الشيخ محمد الغزالي للمرأة ودافع عنها باسم الإسلام وشريعته؛ حيث حارب الغزالي كل من حرموا المرأة من حقوقها التي فرضها لها الإسلام. ويرى الغزالي أنه يجب أن يتم تحرير المرأة من التقاليد البالية والتي تم توريثها منذ فترات الانحطاط في الحضارة الإسلامية، ومن التقاليد القادمة مع الغزو الفكري والاستعمار الثقافي.

يمكن القول بعد هذا العرض للغرض الذي من أجله فسر الشيخ كتاب الله تعالى، بأنه قام بدور الطبيب المداوي لمريضه بحكمة واعية وبتشخيص دقيق للداء، فكشف الداء وقدم الدواء، فكان بحق كشافًا وكاشفًا لما تعاني منه الأمة من أمراض وأوجاع من خلال تفسيره .

المبحث الثالث

منهج الشيخ محمد الغزالي في كتابه: "نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم"

(19) انظر: محمد الغزالي: تراثنا الفكري في ميزان العقل والشرع، ص128.
(20) انظر: مسعود فلوسى: الشيخ محمد الغزالي: رائد منهج التفسير الموضوعي، دار الوفاء، المنصورة، 2000م، ص141.

لكل مَن يتصدَّى لتفسير القرآن الكريم منهج يقوم عليه، ويتم من خلالِه شرحُ وجهتِه التفسيرية؛ وذلك من خلال وسائلَ يعتمدُ عليها، والذي يحدد هذه الوسائل هو شخصية المفسر، ونوع ثقافته، واتجاهه الفكري، والمدرسة التفسيرية التي يتبعُها، وطبيعة تفسيره، وهدفه الذي يرجوه منه، وهذه الوسائل ضرورية لكل مفسر، ولا يخلو منها تفسيرٌ في القديم والحديث، وملاحظة هذه الوسائل وتحديدها يساعد على التعرف على منهج المفسِّر وطريقته في التفسير.

والشيخ الغزالي كأيِّ مفسرٍ آخر كانت له وسائله التي استخدمها ووظَّفها في تفسيره، وهذه الوسائلُ تعود في عمومِها إلى الروافد والأصول الثقافية والفكرية التي أسست منهجَه في نظرته إلى السورة القرآنية، على أنها وحدة واحدة، وبناء متراكب متناسق .

لقد اكتسب الغزالي ثقافة عميقة في مختلف العلوم –والإسلامية منها خاصة–، وهذه الثقافة الواسعة أفادته كثيرًا وهو يفسر القرآن الكريم من خلال التفسير الموضوعي للقرآن أومن خلال التفسير الموضوعي للسورة.

ومن أهم ملامح منهجه في تفسيره لسور القرآن الكريم، وذلك من خلال سياقين؛ داخلي وخارجي، فأما ملامح منهجه حسب السياق الداخلي:

كشف الغزالي عن السياق الداخلي للسورة من خلال استنتاج قضية أو مقصد من السياق اللغوي الداخلي، الذي يتناول السورة كلها، من خلال رسم " صورة شمسية " لها، فتناول أولها وآخرها، وتعرف على الروابط الخفية التي تشدها كلها، وتجعل أولها تمهيدًا لآخرها، وآخرها تصديقًا لأولها، ولقد اعتنى الغزالي عناية شديدة بوحدة الموضوع في السورة، وإن كثرت قضاياها. [21]

لقد حول الغزالي السياق اللغوي – بحكم مشروعه الموضوعي – إلى قضايا أو مقاصد كما فعل دراز من قبل، فأصبح يستخدم السياق الداخلي في تحديد القضايا والمقاصد، لكنه يدور في إطار السياق الداخلي للنص [22] .

---

21) انظر: محمد الغزالي: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، ص5.

22) محمد عبدالله داز: النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، اعتنى به وخرج أحاديثه: عبد الحميد الدخاخني السعودية، ط2، دار طيبة، السعودية، 2000م، ص 263.

وما قدمه الشيخ دراز ما هو إلا ترجمة أخرى قدمها الشاطبي، وهذا النهج هو الذي سار عليه الغزالي في تفسيره لسورة البقرة؛ حيث قسم السورة إلى مقاصد وأهداف وموضوعات وأفكار من داخل سياق السورة، ثم ربط بينها برباط أكبر وأعم من خارج السورة ....

ومما يؤكد أصالة المنهج الذي قدمه محمد الغزالي، أنه كشف عن وجود ترابط بين آيات السورة القرآنية على إطارين هما :

الأول: هو السياق الداخلي، الذي يقسم السورة إلى مقاصد على رأي دراز والغزالي، أو قضية على رأي الشاطبي .

الثاني: السياق الخارجي الذي ترد إليه مقاصد السورة وقضاياها، وتتوحد خلاله في بنية محكمة محبوكة.

نماذج من تفسير الغزالي توضح استخدامه للسياق الداخلي للسورة:

1-من خلال تأكيد محور السورة، وآياتها التي تدور حوله بإيجاز، وكأنها الخيوط الرئيسة في تفسير السورة، يقول:"إنني أختار من الآيات ما يبرز ملامح الصورة، وأترك غيرها للقارئ يضمها إلى السياق المشابه" [23].

كما أنه يبدأ غالبًا بعرض إجمالي لمحورها، ففي تفسيره لسورة(ق) يقول: "في سورة ق حديث عن البعث والجزاء سبقته الأدلة العقلية التي تشير إلى عظمة القدرة وسعة العلم وإمكان النشأة الآخرة! [24].

وفي تفسيره لسورة الطور يقول: "سورة الطور نموذج لطيف لعمل القرآن الكريم في النفس عندما يطلع عليها بالهدى، كما يطلع الصبح على الليل فيمحو ظلامه ويضيء أركانه." [25]

وفي تفسيره لسورة النساء يبدأ بالقول:"الثلث الأول من سورة النساء حديث عن الأسرة وقضاياها، والأسرة هي المجتمع الصغير، والثلثان الباقيان حديث عن الأمة وشؤونها، والأمة هي المجتمع الكبير، فمحور السورة كلها العلاقات الاجتماعية وضرورة إحكامها وتسديدها." [26]

(23) محمد الغزالي: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، ص6.
(24) نفسه، ص407.
(25) نفسه، ص413.
(26) نفسه، ص47.

وبهذا استطاع الكشف عن الوحدة الموضوعية بين آيات السورة كلها، وعلى الرغم من تعدد القضايا التي تعالجها السورة إلا أنه حاول جمعها برابط يجمع بينها متأسيًا في ذلك بالدكتور محمد عبد الله دراز. قال في مقدمة تفسيره:"لقد عنيت عناية شديدة بوحدة الموضوع في السورة، وإن كثرت قضاياها، وتأسيت في ذلك بالشيخ محمد عبد الله دراز عندما تناول سورة البقرة– وهي أطول سورة في القرآن الكريم– فجعل منها باقة واحدة ملونة نضيدة، يعرف ذلك من قرأ (النبأ العظيم) وهو أول تفسير موضوعي لسورة كاملة، فيما أعتقد." [27]

2–الكشف عن الخصائص المميزة لكل سورة، سواء من حيث موضوعاتها، أو من حيث الأسلوب، يقول: مثلًا:"تمتاز سورة الأنعام بخاصتين شاعتا فيها، هما: كثرة التقريرات والتلقينات، لاستنقاذ العقل العربي مما تردى فيه" [28].

وفي سورة التكوير، يقول: "وسورة التكوير من أوائل ما نزل، ومع ذلك فقد قررت عالمية الرسالة، وأن العصابة التي تتنكر لها في مكة عائق محقور ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ ﴾(التكوير: 26–28)" [29].

3–كان يجتهد في تفسير الآية ويصرح بذلك فنراه عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾(الانشقاق: 17–19) يقول: "وقد بدا لي في هذا القسم فهمٌ، إن كان حقًا فمن الله وله المنة، وإن كان خطأ فمن نفسي وأسأله العفو، إن الشفق هنا إيماءة إلى تاريخ المسلمين وما يعتريه من عسر ويسر وهزيمة ونصر"[30]، ثم استدل على قوله بخطبة رسول الله ﷺ تحدث فيها عن كل شيء حتى قيام الساعة، ثم قال ﷺ "ألا إنه لم يبقَ من الدنيا –فيما مضى منها–إلا كما بقي من يومكم هذا

(27)نفسه: ص5.
(28)نفسه: سورة الأنعام، ص91.
(29) نفسه، ص 503.
30)نفسه: ص507.

فيما مضى منه [31]. "هذا الأمد القليل الباقي قبل قيام الساعة هو تاريخنا، وما ظهر من دول وما يبقى !!" [32].

4- لم يعول الشيخ في التفسير الموضوعي للسورة من خلال اسمها متعللًا بأن اسم السورة تتناول جانبًا واحدًا فيها، فقال:"إن أسماء السور القرآنية شيء غير موضوعاتها، الموضوعات غالبًا متشعبة مستفيضة، أما الأسماء فذات دلالات جزئية، خذ مثلًا سورة البقرة، إن قصة بني إسرائيل مع البقرة التي أمروا بذبحها لا تستغرق نصف صفحة من صفحات السورة التي تزيد على الأربعين..." [33].

وما ذهب إليه الشيخ مخالفًا لما كان عليه البقاعي في نظم الدرر، الذي يرى أن معرفة موضوع السورة يمكن من خلال التعرف على دلالة اسم السورة أو أسمائها التي ثبتت عن طريق الوحي، أي بالتوقيف عن رسول الله ﷺ.

يقول البقاعي في نظم الدرر: "وقد ظهر لي باستعمالي لهذه القاعدة بعد وصولي إلى سورة سبأ في السنة العاشرة من ابتدائي في عمل هذا الكتاب أن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها؛ لأن اسم كل شيء تُظهر المناسبة بينه وبين مسماه عنوانه الدال إجمالًا على تفصيل ما فيه." [34]

ولم يجزم الشيخ بما قاله في كل أسماء سور القرآن الكريم؛ بل يرى ذلك في بعضها، ففي سورة المائدة يقول: "سورة المائدة تسمى سورة العقود ، والتسمية الأخيرة أدل على موضوع السورة الواسع ، أما الأولى فهي تشير إلى اقتراح الحواريين على عيسى أن ينزل عليهم مائدة من

(31) أخرجه الحاكم في المستدرك: الحاكم النيسابوري(أبو عبد الله محمد بن عبد الله): المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية – بيروت، 1411هـ - 1990م، قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه،2 /481، المتقي الهندي: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: محمود عمر الدمياطي، ط1، دار الكتب العلمية – بيروت، 1419هـ-1998م، 15 / 388، وكذا الترمذي في سننه: الترمذي(محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك)(ت:279ه): سنن الترمذي: كتاب الفتن باب ما جاء أخبر النبي ﷺ أصحابه رقم 2192 وقال حسن صحيح، دار إحياء التراث العربي- بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر، 484/4. وكذا أبو داود في مسنده: أبو داود (سليمان بن داود الفارسي البصري الطيالسي) (ت: 204ه)، دار المعرفة - بيروت، 1 /286، وكذا الإمام أحمد بن حنبل في مسنده: أحمد بن حنبل (ت:241 ه)، مؤسسة قرطبة – مصر، 2 /133، وكذا البيهقي في شعب الإيمان: البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي) (ت:458ه): شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، ط1، دار الكتب العلمية - بيروت – 1410ه، 7 / 260.

(32) محمد الغزالي: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، ص 508.

(33)نفسه: ص70.

(34) البقاعي (أبو الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر)(ت:885هـ): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1415هـ- 1995م، 12/1 .

السماء يأكلون منها ويستبشرون بها.....وقصة المائدة لا تستغرق من السورة سوى أربع آيات، أما قضايا العقود فتشمل أغلب السورة."[35]

5– لم ينص الشيخ صراحة على دور الزمن التاريخي لنزول السورة في الكشف عن موضوعها ، فيمكن التعرف على هدف السورة أو أهدافها من خلال المرحلة الزمنية التي نزلت فيها السورة، فمن المعلوم أن السور المكية أكدت على تقدير أربعة أمور: الإيمان بالله وحده، الإيمان بالبعث بعد الموت، الإيمان بالرسالات السماوية، الدعوة إلى أمهات الأخلاق.

ولعله لم ينص صراحة على ذلك حتى لا يقع في حصر النص القرآني في زمن النزول فقط، أو فيما يسمى بتاريخ النص القرآني.

وأما ملامح منهجه من حيث السياق الخارجي في تفسير الوحدة الموضوعية للسورة في القرآن الكريم :

السياق الخارجي يعني مقاصد السورة وقضاياها التي تتوحد من خلال بنية محكمة محبوكة .. ومن ذلك السياق الخارجي المحيط بالنص والرابط للسورة ككل :

1–إيجاد الروابط التي تجمع أول السورة بآخرها، وتجعل آخرها تصديقًا لأولها، كما أوجد الرابط لآخر السورة بما بعدها، يقول: "ففي السورة نلمح خيوطًا خفية أشبه بالأعصاب في الكيان الحي، تنتشر من أول السورة إلى آخرها، تجعل أولها تمهيدًا لآخرها، وآخرها تطبيقًا لأولها، وتجعل السورة تدور حول محور معين."[36].

ومن أمثلته ما قاله في تفسير سورة النمل بقوله: "سورة النمل من القرآن النازل بمكة، وقد حوت عجائب عن عالم الحيوان ربما كشف عنها المستقبل القريب، وإلى ذلك تشير الآية الأخيرة في السورة: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٩٣﴾(النمل: 93). أما صدر السورة ففيه خلاصات سريعة عن مصائر المؤمنين

(35) محمد الغزالي: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، ص71.
(36) محمد الغزالي: ندوات الشيخ محمد الغزالي في مجلة لواء الإسلام، ص 242.

والكافرين، فالهدى والبشرى للأولين، والضياع والخسار للآخرين. والواقع أن هذا التمهيد السريع جاءت السورة في الجزء الأخير منها بتفصيله، ولكن بعد إيراد أربع قصص:عن موسى وفرعون، وعن سليمان وسبأ، وثمود، وعن قوم لوط.... كما جاء في السورة إيماء وجيز عن الدابة التي تخرج قبيل الساعة."[37]. وفي آخر تفسيره للسورة قال: "وسيكشف المستقبل الكثير عن مستقبل الإسلام ومستقبل الكفر في هذه الدار المحدودة، وفيما بعدها ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾" [38].

ثم ابتدأ الغزالي في سورة القصص فقال: "بدأت سورة القصص بطمأنة المؤمنين على مستقبلهم مؤكدة أن عاقبة الظلم مظلمة، وأن عاقبة الصبر جميلة، وأن المستضعفين في الأرض ستتكسر قيودهم ويستردون حرياتهم." [39].

في هذا المثال يظهر براعة الغزالي في الربط بين أول السورة وآخرها، وشغف الغزالي بالكشف عن مستقبل الأمة، وعن ربط آخر السورة بأول ما بعدها كما فعل في آخر سورة النمل وربطها بأول سورة القصص.

ومثال آخر تفسيره لسورة النحل قال: "لقد قامت سورة النحل على إحصاء النعم الإلهية، وفي مقدمتها نعمة القرآن الكريم، والمفروض أن يلقى الناس هذه النعم بالشكران والإيمان .....ثم ختمت السورة بأن الدعوة الإسلامية تقوم على الحوار والإقناع والأخذ والرد، ولا تختط الإكراه طريقًا لانتشارها﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴿١٢٥﴾ ﴾(النحل: 125)"[40].

37) محمد الغزالي: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، ص291.
38) نفسه: ص296.
(39) نفسه: ص297.
(40)نفسه: ص214-215.

وفي آخر سورة الكهف قال:" وتختم سورة الكهف بالمعاني التي ذكرت أولها، فالسورة كما أوضحنا لتقرير عقيدة التوحيد، ونفي أن يكون لله أولاد أو أنداد ﴿كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا ۝٥﴾(الكهف: 5) وهنا يقول: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلٗا ۝١٠٢﴾(الكهف: 102)"[41].

وفي آخر تفسير سورة الأحزاب يقول: "وخلال السرد لما يتعرض له النبي الكريم من صنوف الأذى جاءت هذه البشرى العالية تسوق له العزاء والتأييد، والرفعة والتسديد، إنه في كلاءة الله وحمايته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾(الأحزاب: 56).

ثم ختمت سورة الأحزاب بخلاصة وجيزة عن عمل البشر على ظهر الأرض. إنهم تميزوا على غيرهم بحرية الإرادة، وبالتكليف الذي يميز الأخيار والأشرار، إنهم ليسوا دوابَّ محكومةً بغرائزها الدنيا، ولا أرواحًا محكومةً بخصائصها العليا. إنهم جنس خاص يستطيع التسامي والإسفاف....وهو يستطيع الوفاء بحقوق الله وحقوق الناس، كما يستطيع خيانتها والعبث بها. وهذا ما أشارت إليه الآية: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا﴾ (الأحزاب: 72)."[42]

(41) نفسه، ص238.
(42) نفسه، ص328-329.

وفي سورة النازعات يقول: "وعادت السورة إلى ما بدأت به من حديث عن البعث والجزاء ليجعل الإنسان من حياته الأولى مهادًا للحياة الأخرى﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾﴾(النازعات: 34-36)"[43].

2- ربط موضوع السورة بأسباب النزول، يقول الغزالي: "تاريخ النزول وسببه لا يمكن تجاهلهما في تكوين المعنى وإيضاح المقصد، ولا يمكن تجاهلهما في تربية الناس بالقرآن وأخذهم بآدابه"[44].

مثال ذلك في تفسيره لسورة البروج عندما ذكر قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ﴿٤﴾﴾(البروج: 4) ذكر سبب نزول الآية ثم قال " ....وقرأت نبأ المرأة المؤمنة التي قادها الزبانية إلى الأخدود، وكان معها ولدها فتقاعست قليلًا - لعله من أجل ولدها- فقال لها ابنها اثبتي فأنت على الحق، فاقتحمت النار!!، وقرأت نبأ غلام الراهب الذي أبلى بلاءً حسنًا في نشر الإيمان .....ولكنه قتل معه خرافة الفرعون المتأله، وعرف الأحمق أنه هدم ألوهيته بنفسه."[45]

مثال ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴾(المسد:1) قال:" وأبو لهب عم رسول الله! ولكنه كان أجرأ الناس عليه ، وأسرعهم إلى تكذيبه. قال الرواة: صعد النبي على الصفا، ونادى: يا بني فهر، يا بني عدىّ- لبطون قريش كلها- حتى اجتمعوا ..... فقال أبو لهب: تبًّا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟!، فنزلت السورة." [46]. [47]

(43)محمد الغزالي: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، ص499.
(44)محمد الغزالي: نظرات في القرآن، ص15.
(45)محمد الغزالي: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، ص509.
(46)أخرجه البخاري في صحيحه: البخاري(أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري)(ت: 256ه): صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب تأويل قولِ اللهِ تعالى (من بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بها أو دَيْنٍ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط3، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت، 1407 ه- 1987 م، 3 /1011. وكذا في السنن الكبرى للنسائي: النسائي(أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي)(ت:303ه): السنن الكبرى، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، ط1، دار الكتب العلمية –

وبالسياق الداخلي اللغوي استنتج الغزالي قضايا السورة ..أو موضوعاتها، وبالسياق الخارجي العام أو بأسباب النزول ربط السوة ككل، وهو منهج رآه عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز القرآني، وحدد ملامحه وقضاياه الشاطبي في كتابه الموافقات في الشريعة، وطبقه الشيخ دراز في كتابه النبأ العظيم واستوحاه محمد الغزالي في تفسيره: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم ...

بيروت،1411ه – 1991م، 6 /437. وكذا في السنن الكبرى للبيهقي، البيهقي: السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة -1414 ه- 1994م، 6 /371.

(47)محمد الغزالي: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، ص547.

الخاتمة

في إطار الحديث عن منهج الشيخ محمد الغزالي في تفسير الوحدة الموضوعية للسورة في كتابه:

"نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم" باستخدام المنهج الوصفي التحليلي

كشفت الدراسة عن عدد من النتائج، من أهمها :

1-استخدم الشيخ الغزالي وسائل وظَّفها في تفسيره، تعود في عمومِها إلى الروافد والأصول الثقافية والفكرية التي أسَّست منهجَه في نظرته إلى السورة القرآنية، على أنها وحدة واحدة، وبناء متراكب متناسق.

2- اهتم الغزالي بالتفسير الموضوعي للسورة، وذلك لحاجة الأمة إليه، في حل العديد من القضايا التي تتعرض لها الأمة .

3-يرى الغزالي أن أنواع التفاسير حلقات متكاملة لا ينفصم بعضها عن بعض، سواء التفسير الموضعي أو التفسير الموضوعي .

4-نظر الغزالي إلى السورة الواحدة من القرآن نظرة موضوعية على أنها تدور حول محور ارتكاز، فالسورة أشبه بالخيوط الخفية بالأعصاب في الكيان الحي.

5-استخدم الغزالي سياقين لتحليل وربط موضوعات السورة في وحدة واحدة؛ هما: السياق الداخلي والسياق الخارجي ..

6-يقوم السياق الداخلي بتحديد موضوعات السورة، أو مقاصدها وقضاياها، أو أفكارها محددة من سياق الآيات الداخلية ..

7-يقوم السياق الخارجي بربط السورة من أولها لآخرها بمقصد عام .

8-استوحى الغزالي غالب منهجه من منهج الشيخ محمد عبد دراز في كتابه: "النبأ العظيم".

9-كشف الغزالي عن الخصائص المميزة لكل سورة، سواء من حيث موضوعاتها، أو من حيث الأسلوب.

ثبت المصادر والمراجع:

* أحمد بن حنبل: مسند أحمد (ت:241 هـ)، مؤسسة قرطبة – مصر.
* البخاري(أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري)(ت: 256هـ): صحيح البخاري، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا، ط3، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، 1407 هـ – 1987 م.
* البقاعي (أبو الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر)(ت:885هـ) : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان، 1415هـ– 1995م.
* البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي) (ت:458هـ):
– السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز – مكة المكرمة –1414 هـ– 1994م.
– شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، ط1، دار الكتب العلمية – بيروت – 1410هـ .
* الترمذي(محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك)(ت:279هـ): سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي– بيروت.
* الحاكم النيسابوري(أبو عبد الله محمد بن عبد الله): المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية – بيروت، 1411هـ – 1990م.
* أبو داود (سليمان بن داود الفارسي البصري الطيالسي) (ت: 204هـ): مسند أبي داود: دار المعرفة – بيروت، 1 /286،
* عبد الله شحاتة : أهداف السورة ومقاصدها في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1976م.
* عفاف عبد الغفور: التفسير الموضوعي لدى الغزالي، بحث نشر بمؤتمر التفسير الموضوعي للقرآن الكريم واقع وآفاق، المنعقد بجامعة الشارقة 25–26– /3 /2010.
* محمد عبدالله داز: النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، اعتنى به وخرج أحاديثه: عبد الحميد الدخاخني السعودية، ط2، دار طيبة، السعودية، 2000م.
* محمد الغزالي :
– الإسلام والاستبداد السياسي، ط1، دار نهضة مصر، د.ت.
– الإسلام والأوضاع الاقتصادية، ط1، دار نهضة مصر، 2005م.
– تراثنا الفكري في ميزان العقل والشرع، ط1، دار نهضة مصر، د.ت.
– نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، ط1، دار الشروق، القاهرة، 2000م.
– ندوات الشيخ محمد الغزالي في مجلة لواء الإسلام، جمعها ورتبها وعلق عليها وقدم لها: مجد أحمد مكي، ط1، دار القلم، دمشق، سوريا، 2021 م.

– نظرات في القرآن الكريم، ط1، دار نهضة مصر، د.ت.
* محمد نبيل غنايم، بحوث ونماذج من التفسير الموضوعي، دار الهداية للطباعة والنشر، 2008م.
* المتقي الهندي: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: محمود عمر الدمياطي، ط1، دار الكتب العلمية – بيروت، 1419هـ–1998م.
* مسعود فلوسى: الشيخ محمد الغزالي : رائد منهج التفسير الموضوعي، دار الوفاء، المنصورة، 2000م.
* المهدي إبراهيم الغويل : السياق وأثره في المعنى، أكاديمية الفكر الجماهيري، بنغازي– ليبيا، 2011م.
* النسائي(أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي)(ت:303هـ): السنن الكبرى، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، ط1، دار الكتب العلمية – بيروت،1411هـ – 1991م.